*التّمييز بين الإفراد والجمع، وتقديم التَّمييز على عامله*

*بحث في النحو*

*إعداد/ شادية بيومي حامد*

*قسم اللغة العربية*

*كلية العلوم الاسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*shadia@mediu.ws*

***خلاصة—هذا البحث يبحث في التّمييز بين الإفراد والجمع، وتقديم التَّمييز على عامله.***

*الكلمات المفتاحية: الأفعال، التمييز، الإفراد.*

# ***المقدمة***

معرفة *أسس التّمييز بين الإفراد والجمع، وتقديم التَّمييز على عامله،* الفرق بين التعجب والإبهام: التعجب مستفاد من الكلمة، والكلمة هي ويح، بمجرد أن تنطق بها يدل ذلك على التعجب، ولكن أنت حين تعجبت أبهمت، ومصدر الإبهام، يقول سيبويه بالحرف: من أي أمور الرجل تعجب من كونه فارسًا: ويحه فارسًا.

1. *المقالة*

المصادر بين الإفراد والجمع:

ذكر المبرد من أنه حسن جدًّا أن تقول: أنت أجود الناس دورًًا وأنت أفره الناس عبيدًا وذلك لاعتبار المعدودين، وأن هذا؛ لأن له نظيرًا في كتاب الله تعالى، وهو قوله في سورة الكهف: {ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} [الكهف: 103] " قل هل أنبئك بالأخسرين عملًا" ابن مالك قد ناقش هذه المسألة، فقال: لقد جاء الإفراد في قول الله تعالى كما جاء الجمع، أما الجمع: فهو ما ذكرنا من آية الكهف، قول الله ربنا: {ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} وجاء الإفراد في آية النساء حيث قال الله تعالى: {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ} [النساء: 69].

ما السر في هذا الإفراد؟ وما السر في هذا الجمع؟

قال ابن مالك: إن الجميع جمع، وابن مالك في قوله تعالى من سورة النساء: {ﮉ ﮊ ﮋ} [النساء: 69] ذكر أن رفيق على وزن فعيل، وفعيل يستغنى به عن الجمع؛ لأنه يدل على الإفراد ويدل على التثنية، ويدل على الجمع، فكأنه في حكم الجمع، وهذا: يعيد ما سبق في باب الابتداء، فالوصف الذي يكتفي بمرفوعه عن الخبر في نحو: أقائم زيد، هذا وصف اعتمد على استفهام، وقد قال الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خليلي ما وافٍ بعهدي أنتما | \* | إذ لم تكونا على من أقاطع |

وقال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أقاطن قوم سلمى أم نووا ظعنا | \* | .... .... .... .... |

في الاعتماد على استفهام، وذهب الكوفيون، ووافقهم الأخفش من البصريين على أن هذا الاعتماد ليس بشرط، فيجوز أن يأتي الوصف مستغنيًا مكتفيًا بمرفوعه عن الخبر أن يعمل، دون اعتماد على نفي أو استفهام، واستشهد الجميع بقول الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خبير بنو لهب فلا تك ملغيًا | \* | مقالة لهبي إذا الطير مرت |

وقالوا: إن "خبيرًا" جاءت عاملة وما بعدها سد مسد الخبر، وهو كما ترى لم يسبق بنفي، ما قال الشاعر ما خبير، ولم يسبق باستفهام، فما قال: أخبير؟ وأهل البصرة قد ردوا بسهولة عليه، وقالوا: هذا ليس مبتدأ وإنما هو خبر مقدم، وكأن الشاعر قال: بنو لهب خبير، فلما كان هناك اعتراض؛ أين المطابقة بين المبتدأ الذي هو بنو لهب وهو جمع، وبين الخبر الذي هو خبير وهو مفرد، فكان جواب أهل البصرة من هذه الفكرة اللغوية الأصيلة؛ بأنَّ المطابقة هنا غير ضرورية؛ لأن خبير على وزن فعيل، وفعيل يخبر به عن المفرد، فتقول: محمد خبير، ويخبر به عن الجمع فتقول: هؤلاء الناس خبير، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى: {ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ} [التحريم: 4].

فهذه المسألة هي التي أعادنا إليها ابن مالك؛ حيث قال في إفراد رفيقًا: {ﮉ ﮊ ﮋ} وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ} قال: {ﮉ ﮊ ﮋ} وَلَمْ يأت النظمُ بالجمع "رفقاء" كما جاء جمعًًا في آية الكهف: {ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} وسر الإفراد في آية النساء أنه إفراد من حيث الشكل، لكنه من حيث المعنى جمع؛ فرفيق- على وزن فعيل، ووزن فعيل يستوي فيه الإفراد والجمع، أو يطلق على المفرد وعلى الجمع، كما قال الشاعر وفق تخريج البصريين:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خبير بنو لهب فلا تك ملغيًا | \* | مقالة لهبي إذا الطير مرت |

ومعنى ذلك أن تخريجهم على أن خبير: خبر مقدم، وبنو: مبتدأ مؤخر؛ فإن قال قائل: أين المطابقة بين المبتدأ والخبر؟

قلنا: إن خبير على وزن فعيل وهو مما يخبر به عن المفرد ويخبر به عن الجمع، وكذلك رفيق على وزن فعيل، وكذلك خبير على وزن فعيل، وهكذا.

بَيَّنَ ابن مالك بأن المفرد قد يكون جمعًًا، ولكنه إفراد للخفة، والخفة المرادة: هي الخفة المستفادة من الإتيان بمفرد بعد جمع، والمفرد بإجماع العلماء أخف من المثنى، وأخف من الجمع.

ما يفهم معنى التعجب من التمييز:

قال المبرد: "ومن التمييز نحو: لله دره فارسًا، وويحه رجلًا" يعني المبرد بهذا من حيث الإسناد.

قال ابن مالك في (شرح التسهيل):" ومنه مفهم التعجب، كأن المبرد يقصد بقوله: ومن التمييز لله دره فارسًا، أن من التمييز ما يفهم.

وللتعجب صيغتان قياسيتان:

الأولى: ما أفعله.

والثانية: أفعل به.

الصيغة الأولى: ما أفعله:

مثال ما أفعله: ما أجمل الأشجار، أصل التركيب ما: تعجبية، وأجمل: الفعل الذي على وزن أفعل، والأشجار: مفعول به منصوب، وهو الذي وضع العلماء له الهاء، فالهاء في صيغة ما أفعله تدل على متعجب منه، هذا المتعجب منه يتسع اتساع العدد للأجناس، فنحن نقول: ما أجمله ونضع مكان الهاء زيدًًا؛ فنقول: ما أجمل زيدًًا، وما أطول زيدًًا، وقد تأتي الهاء هاء، انظر قول الله تعالى: {ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ} [البقرة: 175] فجاءت الهاء هاءًً، ما أصبرهم.

فالـهــاء: إما أن تكون المكون الثالث: هاءًً كما هي في بناء العلماء أي: أن العلماء وضعوا بناء، هو ما أفعله، والتطبيق على هذا البناء أن يكون على هذه الصورة، كأن تقول: ما أصبرهم على النار، وزيد ما أصبره على الترحال، وفلان ما أصبره على معايشة جيران يؤذونه، وهذا كثير. وإما أن تقول: ما أجمل الأشعار، وما أعذب الأنهار، وكأنك وضعت مكان الهاء في المثال متعجبًا منه منصوبًا.

الصيغة الثانية: أفعل به.

أفعل به. مثال: أكرم به، وأحسن به، وهكذا بالباء التي يعتبرها أهل البصرة زائدة، وكأن ما بعدها فاعل لأفعل الذي هو ماض جيء به على صورة الأمر للتعجب. هاتان هما الصيغتان القياسيتان، لكن للتعجب صور أخرى تجمع على صورة، وهو التعجب السماعي، وهو واسع، ومنه: كيف تفعل هذا؟ وفي القرآن شاهد عليه؛ حيث قال الله تعالى: {ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ} [البقرة: 28]؛ التعبير في هذه الآية يفيد التعجب.

ومنه ما ذكره العلماء في صدر باب التعجب حين قالوا: والتعجب يكون قياسًا بما أفعله، وأفعل به، ويكون سماعًا كقولك: سبحان الله، لخبر، أو إثر خبر سمعته وأثار فيك الدهشة، فأنت تقول: سبحان الله. وقال ربنا: {ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ} [الروم 17: 19]

المراد: قولوا سبحان الله في المساء، وفي الصباح في الظهيرة، بمعنى تعجبوا، وإنما سبحوا الله ونزهوه كما قال المبرد.

أي أننا ننزه الله تعالى عن كل نقص وعن كل سوء؛ ولذلك قال المبرد: براءة الله من السوء، إنَّما نحن مأمورون بذلك، فإذا قال لنا قائل شيئًا يثير فينا الدهشة، قلنا: سبحان الله! فجمعنا بين تنزيه الله من السوء، والمعنى الأصلي لا يفارق، لو اطلعنا على ما قاله سيبويه في الفاء قال: ولا يفارقها معنى السبب حتى ولو كانت عاطفة، ومعنى قول سيبويه: ولا يفارقها معنى السبب: أن الفاء التي هي سببية، إنَّما تأتي للعطف مثلًا: تفيد الترتيب والتعقيب تقول: شربت كذا فكذا، أو لقيت زيدًا فعمرًا، فليس ها هنا وقت وترتيب كل شيء وتعقيبه أهم شيء، التعقيب يكون بحسب يمكن أن تقول: سافرت إلى مكة فبغداد وبين مكة وبغداد مسافات طويلة، لكن أنت لم تعرج في الطريق عن مكان يعطلك مواصلة الرحلة مواصلة تامة، يعني: كأنها عمل متواصل بلا فواصل. فمعنى ذلك أنها أفادت الترتيب والتعقيب وهذا معنى: "لا يفارقها معنى السبب".

فكذلك التعجب الذي هو سماعي لا يفارقه المعنى؛ لأننا إذا قلنا: غلت الأسعار، قلت: سبحان الله! أي: براءة الله من السوء، إنها ازدادت بسبب الجشع، أو سبب الفقر، أو سبب الحاجة؛ إذن أنا أبرأ نفسي من السوء وأتهم نفسي، فأقول: ربي إن ظلمت نفسي فاغفر لي كما قال القرآن الكريم في سورة القصص: {ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ} [القصص: 16].

وهناك معنى أصلي، ومعنى فرعي:

المعنى الفرعي: هو أن تستعمل سبحان الله في التعجب، وكذلك: لله دره فارسًا، قال العلامة المبرد ذلك، ومن التمييز ما يفيد التعجب، ومن ذلك: لله دره فارسًا وويحه رجلًا، قال المبرد: ومن التمييز: ويحه رجلًا، ولله دره فارسًا، وحسبك به شجاعًا.

وفي معنى التعجب يقول سيبويه: ومع هذا أيضًا أننا إذا قلنا: "ويحه"، لقد تعجبنا، هذا الذي يقوله سيبويه إنَّما هو تفسير لما لم يذكره المبرد، معنى ذلك: أن المبرد تعرض لأسلوب ذكره، ذكر دخول "من" عليه، لغير ذلك مما صدر، لكن الإمام سيبويه يبين لنا معنى التعجب، ومعنى التمييز.

نعود إلى سيبويه ونرى هل الأسلوب لكل ما فيه من جزيئات يفهمنا التعجب أم أن هناك كلمة في الأسلوب هي التي تدل على التعجب؟

إن سيبويه يقول: إذا ما قلت ويحه؛ إذن كأن الكلمة التي تدل على التعجب هي كلمة ويح، فقد تعجبت وأبهمت.

الفرق بين التعجب والإبهام: التعجب مستفاد من الكلمة، والكلمة هي ويح، بمجرد أن تنطق بها يدل ذلك على التعجب، ولكن أنت حين تعجبت أبهمت، ومصدر الإبهام، يقول سيبويه بالحرف: من أي أمور الرجل تعجب من كونه فارسًا: ويحه فارسًا.

وعلى هذا، نستطيع أن نقول: إن هذا التعبير أصيل في (كتاب سيبويه) وهو: ويحه فارسًا، وتقول ويحه حافظًا، وتقول غير ذلك؛ إذن أنت حين قلت: ويحه تعجبت؛ لأن ويح تفيد التعجب، وإذا قلت: فارسًا وحافظًا فقد اختصصت ولم تبهم.

يدل قول سيبويه: فقد اختصصت ولم تبهم، أن التمييز لزوال الإبهام ولزوال التعميم.

وقال المبرد: ومن التمييز: ويحه رجلًا، هل هناك خلافٌ بين سيبويه والمبرد في قوله: من أي أمور الرجل تعجب؟ لقد قال المبرد: ويحه رجلًا.

وكأن هذه العبارة التي ذكرها المبرد ملبسة، مع ما ذكره سيبويه حين قال: من أي أمور الرجل؟

والحق:أنه لا تناقض بين ما ذكره العلامة سيبويه وبين ما ذكره المبرد؛ قد قال سيبويه: إذا قلت ويحه، فقد تعجبت وأبهمت من أي أمور الرجل تعجب؟ فإنه يريد: أنك تريد أن تخصص، ويحه فارسًا، ويحه آكلًا للطعام الكثير مثلًا -أكولًا- ويحه كاتبًا ويحه فارسًا ويحه شجاعًا، يعني: أنت تريد أن تخصص شيئًا في الرجل، والعبارة التي ذكرها المبرد: ويحه رجلًا، ليس فيها فارسًا ولا شجاعًا لإزالة ما يشبه التناقض بين ما ذكره سيبويه وبين ما ذكره المبرد.

إنما أراد المبرد بقوله: ويحه رجلًا أن يتعجب من الرجولة ذاتها، كأنه لا يعني الأجزاء. وهناك اختصاص يتفق مع ما ذكره سيبويه لأننا نقول: ويحه رجلًا، يعني: فيه من صفات الرجولة ما يصح أن نطلق عليه كلمة رجل؛ فكلمة رجل لا تطلق إلا على ذي مروءة: الأنبياء رجال، لا تطلق إلا على ذي صدق: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ} [الأحزاب: 23] كلمة رجل تطلق على العابد الذي لا تلهيه التجارة، ولا البيع ولا أي شيء عن ذكر الله؛ لقول الله تعالى: {ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ} [النور: 36- 37].

ونحن إذا تتبعنا ما ذكره القرآن الكريم في الرجل أدركنا معنى قول المبرد: ويحه رجلًا.

إذن فيه تخصيص بأنا ضمن هذه العبارة التعجبية فهمنا أن هذا الذي هو ربما يكون زيدًًا أو عمرًا حين يقول المبرد: ويحه رجلًا، الضمير يعود على مذكور ضمني، كأني قلت: زيد ويحه رجلًا، فيفهم الناس أن المعاني الشريفة التي ذكرها القرآن الكريم في الرجولة: {ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ} [المائدة: 23] {ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ} [القصص: 20] {ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ} [يس: 20].

وحين يقول المبرد: ويحه رجلًا، أبشر يا من تستمع إلى هذه العبارة أنك وجدت كل هذه الصفات، فلا تناقض بين ما ذكره العلامة سيبويه وما ذكره المبرد.

إذن يستفاد التعجب من "ويح" كما يستفاد التعجب من "در".

قال ابن منظور في (اللسان): الأصل فيه أن الرجل إذا كثر خيره وعطاؤه وإنالته الناس قيل: لله دره، أي: لله عطاؤه، وما يؤخذ منه، شبهوا -أي: الناس، أو العرب- عطاءه في در الناقة، ثم كثر استعمالهم حتى صاروا يقولونه لكل متعجب منهم.

وهناك جملة مهمة ذكرها العلامة في (لسان العرب): أن لتعبير "لله دره فارسًا" أصلًا، وأصله: در الناقة إذا كثر لبنها، ثم نظر الناس إلى حياتهم فوجدوا أن هناك شخصًا كثير العطاء يعطي الناس من الخير الذي منحه الله تعالى إياه، وكان عطاؤه كثيرًا لا قليلًا، فلما كان عطاؤه كثيرًا لا قليلًا شبه الناس عطاء هذا الرجل السخي الكريم بعطاء الناقة، أو بدر الناقة من اللبن الكثير إذا كثر لبنها. هذه مرحلة، فلما رأوا ذلك كثيرًا في الاستعمال؛ انتقل التعبير من مرحلة التشبيه في حالة معينة مخصوصة هي حالة العطاء الكثير إلى معنى التعجب؛وهناك وجهٌ للشبه بين قول المبرد: لله دره فارسًا، وبين الأصل الأصيل للتعبير.

# المراجع والمصادر

1. سيبويه، عمرو بن عثمان سيبويه (الكتاب) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، 1991م
2. المبرد، محمد بن يزيد المبرد (المقتضب)، دار الكتب العلمية، 2000م
3. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح التسهيل)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م
4. القفطي، جمال الدين علي بن يوسف القفطي (أنباه الرواة على أنباه النحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1950م
5. بن كثير، إسماعيل بن كثير (طبقات الشافعية)، دار المدار الإسلامي للتوزيع، 2003م
6. الحنبلي، ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، سوريا، دار ابن كثير، 1986م
7. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف)، دار الكتب العلمية، 2007م
8. الأنباري، أبو البركات بن الأنباري (البيان في غريب إعراب القرآن)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م
9. الأنصاري، جمال الدين بن هشام الأنصاري (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م
10. الأشموني، علي بن محمد الأشموني (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، دار الكتب العلمية، 1998م
11. بن جني، ابي الفتح عثمان بن جني (الخصائص)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م
12. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح الكافية الشافية)، دار الكتب العلمية، 2000م
13. الشافعي، محمد بن علي الصبان الشافعي (حاشية الصبان على شرح الأشموني)، دار الكتب العلمية، 1997م
14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م
15. الطنطاوي، محمد الطنطاوي (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م
16. الأستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (شرح الرضي على الكافية)، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1978م
17. بن يعيش، يعيش بن علي بن أبي يسار بن يعيش (شرح المفصل)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
18. بن منظور، محمد بن مكرم بن منظور (لسان العرب)، بيروت، دار صادر، 1970م
19. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (اللباب في علل البناء والإعراب)، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م
20. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)، دار الكتب العلمية، 1997م
21. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن عليّ بن حيان الأندلسي (تفسير البحر المحيط)، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ